JOURNAL OF ISLAMIC CIVILIZATION ANDCULTURE(JICC)
Volume 07, Issue 01 (Jan-June , 2024)
ISSN (Print):2707-689X
ISSN (Online) 2707-6903
Issue: https://www.ahbabtrust.org/ojs/index.php/jicc/issue/view/16
URL: https://www.ahbabtrust.org/ojs/index.php/jicc/article/view/242
Article DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.17461140

Title "The Representational (Analogical) Simile and Its Impact on Meaning Generation in Abbasid Poetry"

Author (s): Dr.Habib Nawaz Khan,Faheem Khan ,Khadija

Received on: 15 Jan, 2024
Accepted on: 15 March.2024
Published on: 25 June 2024

Citation: Dr.Habib Nawaz Khan,Faheem Khan ,Khadija ,“ "The Representational (Analogical) Simile and Its Impact on Meaning Generation in Abbasid Poetry"” JICC: 7 no, 1 (2024):43-59

Publisher: Al-Ahbab Turst Islamabad

Click here for more

التشبيه التمثيلي وأثره في توليد الدلالة في الشعر العباسي

The Representational (Analogical) Simile and Its Impact on Meaning Generation in Abbasid Poetry

*Dr.Habib Nawaz Khan
.***Muhammad Faheem
**Khadija

Abstract:

Similitude-based analogy (representational simile) is one of the most refined rhetorical devices in Arabic poetry, characterized by its deep meaning and its power to merge intellectual and imaginative elements within a vivid image. This form of simile flourished during the Abbasid era, a period marked by cultural expansion and artistic creativity among poets. It is based on comparing one complete image to another, where the relation between the two generates new layers of meaning beyond the literal sense. Through the analysis of poetic examples by Abu Tammam, Al-Buhturi, and Al-Mutanabbi, it becomes clear that this type of simile was not merely ornamental but a means of semantic generation and artistic expression. The representational simile contributes to meaning formation through its suggestive power and the interaction between words and images, producing multiple levels of emotional and intellectual significance. Thus, in Abbasid poetry, the representational simile emerges as a structural and aesthetic tool essential to the construction of poetic meaning and the revelation of the poet's vision.

Keywords: *Similitude, representational, characterized, layers, intellectual*

*Assistant Professor, Department of Arabic, NUML, Islamabad
***MPhil Scholar, Department of Islamic Studies, University of Agriculture, Peshawar.
** BS Scholar, Shaikh Zayed Islamic Centre, University of Peshawar.

تلخيص البحث:

يُعدّ التشبيه أحد أهم الأساليب البلاغية في اللغة العربية، وأعمقها أثرًا في تشكيل الدلالة الجمالية والفكرية للنص الأدبي. فهو ليس مجرد وسيلة لتوضيح المعنى وتقريبه إلى الذهن، بل هو في جوهره أداةٌ للتفكير والتصوير، تنقل الفكرة من التجريد إلى التجسيد، ومن الغموض إلى البيان. ومن بين أنواع التشبيه المتعددة، يبرز التشبيه التمثيلي في الذروة؛ لأنه يقوم على تمثيل صورةٍ بصورةٍ أو حالٍ بحالٍ، فيكشف عن قدرة اللغة العربية على تجسيد المعاني العقلية في صورٍ محسوسةٍ نابضة بالحياة.

لقد حظي التشبيه التمثيلي بعنايةٍ كبيرةٍ في التراث البلاغي العربي، ولا سيما عند عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، إذ اعتبره جوهر الإبداع الفني الذي يُولّد المعنى ويُعيد تشكيل الواقع في ذهن المتلقي. غير أنّ هذا اللون من التشبيه لم يظلّ حبيس التنظير البلاغي، بل وجد ميدانه الخصيب في الشعر العباسي، حيث امتزج الفكر بالخيال، والعقل بالعاطفة، لتُولد من خلاله صورٌ تمثيليةٌ عميقة تجمع بين الحسّ والعقل، وتعبّر عن التحولات الثقافية والفكرية الكبرى التي شهدها العصر.

لقد كان العصر العباسي عصر انفتاحٍ حضاريٍّ واسعٍ، تفاعلت فيه الثقافات، وتطوّرت العلوم، وتجدّدت المفاهيم، مما انعكس على البنية الشعرية التي أصبحت أكثر تعقيدًا وعمقًا. وفي ظل هذا التحول، تطوّر التشبيه من وسيلةٍ بيانيةٍ بسيطةٍ إلى أداةٍ فكريةٍ وفنيةٍ تُعبّر عن الرؤية الجديدة للعالم. فالشاعر العباسي —— ولا سيما أبو تمام، والبحتري، والمتنبي ——لم يكتفِ بوصف المشاهد أو تقريب المعاني، بل استخدم التشبيه التمثيلي لبناء دلالاتٍ جديدةٍ تتجاوز ظاهر القول إلى باطن الفكر والوجدان.

ومن هنا، تتحدد مشكلة هذا البحث في الكشف عن طبيعة التشبيه التمثيلي في الشعر العباسي، وبيان دوره في توليد الدلالة الجمالية والفكرية والنفسية للنص الشعري، من خلال تحليل أنماطه ووظائفه ومظاهره التجديدية في هذا العصر.

كما تتجلى أهمية البحث في كونه يسعى إلى الربط بين البلاغة النظرية والتطبيق الشعري، وإبراز كيفية توظيف الشعراء العباسيين لهذا الأسلوب البلاغي بما يتجاوز التقليد إلى الإبداع. ويكتسب البحث قيمته أيضًا من إلقاء الضوء على التطور الدلالي للصورة الشعرية في ضوء التشبيه التمثيلي، مما يعيد النظر في مفاهيم البلاغة التقليدية بوصفها أنساقًا فكرية لا مجرد أدوات تحليلية.

ويهدف البحث إلى:

1. دراسة مفهوم التشبيه التمثيلي في البلاغة العربية وتطوره.
2. تحليل أنماط التشبيه التمثيلي في شعر العصر العباسي.
3. الكشف عن الأبعاد الجمالية والدلالية والنفسية لهذا الفن البلاغي.
4. تحديد أثر البيئة الثقافية والفكرية العباسية في تشكيل الصورة التمثيلية.

أما منهج البحث فيعتمد على المنهج التحليلي المقارن، الذي يجمع بين التحليل البلاغي للنصوص الشعرية والدراسة الفكرية للبيئة التي نشأت فيها، مع الاستناد إلى أمهات كتب البلاغة والنقد العربي القديم مثل :أسرار البلاغة ومفتاح العلوم والإيضاح في علوم البلاغة، إلى جانب الشواهد الشعرية من دواوين أبي تمام والبحتري والمتنبي.

ويقتصر نطاق البحث على دراسة التشبيه التمثيلي في الشعر العباسي خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، لما شهده هذان القرنان من نضجٍ بلاغيٍ وتنوّعٍ أسلوبيٍّ فريد.

وخلاصة القول، إن هذا البحث يسعى إلى تأكيد أن التشبيه التمثيلي في الشعر العباسي لم يكن مجرد مظهرٍ من مظاهر البيان، بل كان أداةً فكريةً وجماليةً لبناء المعنى، وتجسيد الرؤية الإنسانية والحضارية للشاعر العباسي في عصرٍ تداخلت فيه الثقافات وتجدّدت فيه أساليب التعبير.

مفهوم التشبيه في البلاغة العربية

أولًا: تعريف التشبيه في اللغة والاصطلاح

في اللغة، يُشتقّ لفظ التشبيه من الشَّبه» والمشابهة»، أي المماثلة بين شيئين في صفة أو أكثر. يقول ابن فارس في مقاييس اللغة:

الشين والباء والهاء أصلٌ واحد، يدل على المماثلة بين الشيئين... يقال: هذا شِبْهُ هذا، أي مثله[1]

أما في الاصطلاح البلاغي، فقد تعددت التعريفات وتنوّعت بتنوّع مناهج البلاغيين، إلا أنها جميعًا تدور حول معنى المشاركة بين طرفين في صفة. يقول عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة:

اعلم أن التشبيه أن تُظهِر أن أحد الشيئين يُشبه الآخر في معنىً من المعاني، وذلك أن تأخذ شيئًا من أشياء الحِسّ، وتُقيمه دليلاً على معنى من المعاني العقلية، فتجعله له مثالًا وممثّلًا به[2]

ويضيف في دلائل الإعجاز موضحًا البعد العقلي في التشبيه:

التشبيه هو أن تُقرّب المعقول من المحسّ، وتردّ الغائب إلى الشاهد، وتقرّب البعيد من القريب،

لتقرّ العين ما كان للعقل، وتُعطى المعنى صورةً تُمكّن الفكر من تصوّره[3]

أما السكاكي فقد عرّفه في مفتاح العلوم بأنه:

الدلالة على مشاركة أمرٍ لآخر في معنى من المعاني، بأداةٍ ظاهرةٍ أو مقدّرةٍ، تقصد بها إلحاق أحدهما بالآخر في ذلك المعنى[4]

وتبدو أهمية هذه التعريفات في إبراز وظيفة التشبيه المزدوجة :البيانية التي توضح المعنى، والفنية التي تُكسب الكلام طرافةً وجمالًا.

ثانيًا: أركان التشبيه

اتفق البلاغيون على أن للتشبيه أربعة أركان رئيسة:

1. المشبَّه :وهو العنصر الذي يراد توضيحه أو تصويره.
2. المشبَّه به :وهو ما يُستعان به لإيضاح صورة المشبَّه.
3. أداة التشبيه :مثل (كـــ، مثل، كأنَ، يشبه...).
4. وجه الشبه :وهي الصفة المشتركة بين الطرفين، وقد تكون حسية أو معنوية.

وقد تناول البلاغيون حذف بعض الأركان لأغراض بلاغية، فيقول القزويني في الإيضاح في علوم البلاغة:

إذا حُذفت الأداة ووجه الشبه كان أبلغ، لأنه يُشعر أن المشبَّه قد بلغ الغاية في مشابهة المشبَّه به[5]

ومن أبلغ الأمثلة قول الشاعر:

كأنك شمسٌ والملوك كواكبٌ

إذا طلعت لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

فقد حُذفت أداة التشبيه ووجه الشبه، فأصبح التشبيه بليغًا يدل على التمام في المماثلة.

ثالثًا: أنواع التشبيه

قسّم البلاغيون التشبيه بحسب جوانب متعددة:

1. من حيث الأداة:

مرسل :إذا ذكرت الأداة.

مؤكد :إذا حُذفت الأداة.

2. من حيث وجه الشبه:

مفصَل :إذا ذُكر وجه الشبه.

مجمل :إذا لم يُذكر.

3. من حيث طرفا التشبيه:

تشبيه مفرد بمفرد :نحو الوجه كالقمر.«

تشبيه مركّب (تمثيلي) :نحو كأنّك شمسٌ»، أو كأنَ زيداً في شجاعته الأسد في هجومه.«

4. من حيث الغرض:

بياني :لإيضاح المعنى وتقريبه.

جمالي :لتزيين الصورة وتلطيف المعنى.

ابتكاري :لإبداع صورة جديدة تُحدث الأثر الجمالي والدلالي.

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى أنَ سرّ البلاغة في التشبيه لا يقف عند حدود التركيب اللفظي، بل في العلاقات الذهنية التي تنشأ بين الطرفين، فيقول:

وليس الشأن أن تقول زيد كالأسد، ولكن الشأن أن تُجيد الوضع، وتختار من صفات الأسد ما يلائم الغرض ويُعطي الكلام حسنَهُ[6]

رابعًا: الفرق بين التشبيه التمثيلي وغيره

يُعدَ التشبيه التمثيلي من أرقى أنواع التشبيه، لأنه يُبنى على تمثيل صورةٍ بصورةٍ، لا مجرد مفردٍ بمفردٍ. يقول الجرجاني في أسرار البلاغة:

هو أن يُشبَّه حالٌ بحالٍ، أو هيئةٌ بهيئةٍ، فيجمعك بين صورتين، كقولك: هو في صبره على الشدائد كالجبل لا يتزحزح، أو كقولك: كأنّ الفؤادَ حجرٌ على صخرةٍ، لا تلينه العواصف[7]

ويُضيف ابن سنان الخفاجي في سرّ الفصاحة:

إنما يتمّ حسن التشبيه إذا كان جامعًا بين الطرفين في صفةٍ معقولةٍ، تبرز المشهد في صورة محسوسةٍ تدركها النفس قبل العين[8]

ومن أمثلة التشبيه التمثيلي قول أبي تمام:

إقدامُ عمروٍ في سماحةِ حاتمٍ.....في حلمِ أحنفَ في ذكاءِ إياسِ

فقد شبّه الشاعر الممدوح بهيئةٍ مركّبةٍ من صفاتٍ متعدّدة، بهيئةٍ مركّبةٍ أخرى تجمع صفات الكمال في رجالٍ عُرفوا بها، فصوّر الصورة العقلية بصورة محسوسة تُغني عن البيان.

كما يقول البحتري:

كأنّ مثارَ النقعِ فوق رؤوسِنا.....وأسيافِنا ليلٌ تهاوى كواكبُه

وهذا المثال من أبلغ التشبيهات التمثيلية، إذ جمع بين حركية المشهد الحربي وصورة السماء المليئة بالنجوم المتساقطة، فحَوَّل القتال إلى مشهدٍ بصريٍّ عظيمٍ يفيض حياةً وحركةً.

خامسًا: دلالة التشبيه ووظيفته في الخطاب البلاغي

لا يقتصر التشبيه في البلاغة العربية على الزخرفة، بل يؤدي دورًا دلاليًا وفكريًا عميقًا. يقول الجرجاني:

كلّما كانت الصورة أتمَّ وأقرب إلى الحسِّ، كان التشبيه أوقع في النفس وأدعى إلى التمثّل، لأن الغرض منه نقل المعنى من خفاء الفكر إلى وضوح البصر[9]

ومن هذا المنطلق، فالتشبيه يُعدّ وسيلة لتوليد المعنى عبر الصورة، إذ يُعيد تركيب الواقع من خلال الرؤية الشعرية. إنّه أداة كشفٍ لا محاكاةٍ فحسب، فهو يُظهر المعنى في هيئةٍ محسوسةٍ جديدةٍ، تتيح للقارئ إدراك المعنى بطريقةٍ جماليةٍ ووجدانيةٍ في آنٍ واحد.

التشبيه التمثيلي في الشعر العباسي

ملامح التجديد البلاغي في الشعر العباسي

يُعدّ العصر العباسي أزهى عصور الأدب العربي من حيث الازدهار الفكري واللغوي والفني، إذ شهد انفتاحًا حضاريًا واسعًا واتصالًا بثقافات متعددة، مما انعكس على الشعر والبلاغة العربية.

وقد كان لهذا الانفتاح أثر بالغ في تجديد الصورة الشعرية، وظهور أنماط جديدة من التشبيه التمثيلي الذي تجاوز التقليد الجاهلي إلى الإبداع الذهني المركّب.

لقد وجد الشعراء العباسيون في هذا الفن ميدانًا رحبًا للتعبير عن معارفهم وفكرهم، فصار التشبيه لديهم ليس مجرد مقارنة حسية، بل وسيلة لتوليد المعنى وتكثيف الدلالة، تُترجم الرؤية العقلية والحضارية الجديدة.

أولًا: البيئة الفكرية والثقافية في العصر العباسي

امتاز العصر العباسي بسعة الأفق الثقافي، وخصوبة المناخ الفكري، نتيجة التلاقح الحضاري بين العرب وغيرهم من الأمم. فقد أصبحت بغداد مركز إشعاع فكري وثقافي، حيث اجتمع فيها العلماء، والمترجمون، والفلاسفة، واللغويون، والأدباء من مختلف الأقطار.

يقول شوقي ضيف في كتابه العصر العباسي الأول:

لقد فتحت الدولة العباسية أبوابها للثقافات الأجنبية، واستقدمت العلماء من الأمم المختلفة، فكان لذلك أثر عظيم في توسيع مدارك العرب، وتحوّلهم من البداوة إلى الحضارة، ومن الحسّ إلى الفكر[10]

هذا التحول الفكري الكبير انعكس على الشعر، فانتقل الشعراء من التصوير الحسي البدوي إلى التصوير العقلي المركّب، الذي يقوم على الفكرة والرمز والتمثيل. و لم تعد الصور الشعرية مقصورة على مظاهر الصحراء والطبيعة القريبة، بل اتسعت لتشمل مشاهد الحضارة والعمران، والعلم والفلسفة.

كما أن ازدهار العلوم العقلية والنقلية ——من فلسفةٍ وكيمياءٍ وطبٍّ وفلكٍ —— ترك أثره على التخييل الشعري. فقد أصبح الشاعر أكثر ميلًا إلى التجريد والتأمل العقلي، مما أفرز صورًا جديدة غير مسبوقة. يقول الجرجاني في وصف هذه النقلة الذهنية في التعبير:

إنّ الشعر كلّما ازداد خيالًا وتركيبًا وتخييلاً، ازداد بُعدًا عن الحسيّ، واقترب من المعاني العقلية التي تُتخذ لها صور محسوسة[11]

وهكذا أصبح الشعر العباسي انعكاسًا لروح عصرٍ يغلب عليه العقل والفكر والبحث الفلسفي، فانصهرت البلاغة العربية في بوتقة العلم والثقافة الجديدة، وتجاوز التشبيه وظيفته التقليدية نحو أبعادٍ فكرية وجمالية أعمق.

ثانيًا: أثر الانفتاح الحضاري في تطور اللغة والصورة الشعرية

كان الانفتاح الحضاري الواسع الذي شهده العصر العباسي من أبرز العوامل التي أسهمت في تجديد الصورة البلاغية، فقد تفاعل العرب مع التراث الفارسي واليوناني والهندي، وترجمت كتب الفلسفة والمنطق والطب والفلك، فانعكست مصطلحاتها وصورها على النتاج الأدبي.

يقول ابن خلدون في المقدمة:

إنّ العلوم في الدولة العباسية بلغت غايتها، إذ امتزجت بالعجم، وصار اللسان العربي لسانًا للعلم والفكر، فتوسّعت المعاني، وتفنّنت الأساليب، ونشأ من ذلك طراز جديد من البيان[12]

هذا الامتزاج الحضاري أحدث تحوّلًا في لغة الشعر، فغدت أكثر مرونةً وقدرةً على التعبير عن المفاهيم المجردة والمعاني العقلية، بعدما كانت مقصورة على الوصف الخارجي.

وقد أشار أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين إلى هذا التطور بقوله:

كان الشعراء الأُوَلُ يقتصرون على التشبيه بما يدركونه بحواسهم، ثم جاء المتأخرون فشبّهوا المعاني بالمعاني، والعقول بالعقول، حتى صار التشبيه باباً من أبواب الفكر[13]

فلم يعد الشاعر العباسي يصف الشيء كما هو، بل يُعيد تشكيله عبر رؤية عقلية وفنية معقدة، فيولد من التشبيه دلالة جديدة.

ومن أمثلة ذلك قول أبي تمام في مدح المعتصم:

إقدامُ عمروٍ في سماحةِ حاتمٍ.....في حلمِ أحنفَ في ذكاءِ إياسِ

فهنا لا يكتفي الشاعر بالمقارنة بين شخصين، بل يبني تشبيهًا تمثيليًا مركّبًا يزاوج بين أربع صور عقلية، تمثّل في مجموعها كمال الشخصية الممدوحة. وقد علق الجرجاني على هذا النمط من التشبيه قائلًا:

إنّ الشاعر إذا جمع بين أوصافٍ كثيرةٍ في صورةٍ واحدةٍ فقد خرج من التشبيه المفرد إلى التشبيه المركّب، وهو أدخل في باب الإبداع وأقرب إلى التمثيل العقلي[14]

ويظهر أثر الحضارة في مثل هذه الصور من خلال التركيب الذهني والتكثيف الدلالي، وهي خصائص تتناسب مع روح العصر العباسي القائم على التعدد والتفاعل الثقافي.

كما ساعد التطور الحضري بما فيه من مشاهد المدن والقصور والحدائق على إثراء الخيال الشعري. فاستعاض الشاعر عن صور الرمل والناقة والظلل بصور القباب والأنهار والمجالس والموسيقى.

يقول ابن رشيق في العمدة:

إنّ الشاعر في هذا الزمان قد وسّع الله عليه في المعاني، لما رأى من أحوال الناس وتنوّع حضارتهم، فصار يشبّه الأشياء بما يشاهد في قصورهم ومجالسهم، لا بما كان يراه الأعراب في باديتهم[15]

ثالثًا: خصائص الأسلوب العباسي من حيث المعنى والبنية

شهد الأسلوب الشعري في العصر العباسي تطوراً بلاغيًا عميقًا من حيث البنية والمعنى، فبرزت خصائص أساسية ميّزته عن غيره من العصور، منها:

1. العقلانية في بناء الصورة

الشاعر العباسي أصبح أكثر وعيًا بالعلاقات بين الأشياء، فغدت الصورة الشعرية تقوم على الربط المنطقي والتوليد الذهني لا على الحس المباشر.

يقول عبد القاهر الجرجاني:

إنّ التشبيه الحقّ ما بني على ملاحظة وجه الشبه بين أمرين متباعدين، فكان الجمع بينهما ضربًا من الإبداع العقلي[16]

وهذه النزعة العقلية هي التي جعلت التشبيه التمثيلي يحتل مكانة مركزية في الشعر العباسي، لأنه يقوم على تركيب صورٍ متعددة في وحدة دلالية عميقة.

.2التكثيف الدلالي والإيحاء

يميل الشاعر العباسي إلى الاقتصاد اللفظي مع الثراء المعنوي، إذ تختزن الصورة الواحدة معاني متعددة.

يقول البحتري:

كأنّ مثارَ النقعِ فوق رؤوسنا...وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُه

فهنا يولّد التشبيه التمثيلي مشهدًا بصريًا مركّبًا يجمع بين الحركة والضوء والبطولة، فيرمز إلى النصر والهيبة، لا إلى المعنى الظاهر فحسب.

.3الانسجام بين الشكل والمعنى

تميز الأسلوب العباسي بدقّة البناء الفني، حيث تتناسق المفردات والإيقاع مع الفكرة، مما يمنح الصورة وحدة عضوية متكاملة.

يقول ابن الأثير في المثل السائر:

إنَ الصناعة البيانية في هذا الزمان قد بلغت غايتها، إذ صار الشاعر لا يكتفي باللفظ البليغ حتى يجعله في نظامٍ يلائم المعنى، فيجيء الكلام كأنه لوحةٌ منسجمة الألوان[17]

وهذا الانسجام انعكس في التشبيه التمثيلي الذي يجمع بين العقل والجمال، ويُظهر التوازن بين الخيال والدلالة.

.4الابتكار والتجديد في الصورة

كان التجديد في التشبيه العباسي قائمًا على الخروج من النمط الموروث. فالشاعر لا يكرّر صور الجاهليين، بل يصوغ صوره من تجربته الخاصة ومن رموز عصره.

يقول أبو تمام:

السيف أصدق أنباءً من الكتبِ./..في حدّه الحدُّ بين الجدّ واللعبِ

وهذا البيت يُعدّ من قمم الإبداع التمثيلي، حيث يتحوّل السيف إلى رمزٍ للحقيقة والصدق في

مواجهة الزيف النظري، فالصورة هنا تتجاوز التمثيل البصري إلى رؤية فكرية تعكس موقفًا فلسفيًا من الواقع.

.5التنويع في بنية التشبيه

لم يعد التشبيه في الشعر العباسي أحادي البنية (مشبَّه ومشبَّه به)، بل أصبح متعدّد المستويات: صورة تتولد من أخرى، ومعنى يلد معنى.

وهذا ما يسميه البلاغيون تراكب الصور«، الذي يُنتج دلالات جديدة.

وقد أشار حازم القرطاجني إلى هذا المعنى بقوله:

الشعر كلّما تداخلت فيه الصور، وتقاربت دلالاتها، ازداد عمقًا في الإبداع وأدنى إلى التمثيل العقلي[18]

حاصل كلام:

يُظهر التحليل أن التشبيه التمثيلي في الشعر العباسي لم يكن وليد الصدفة، بل نتيجة مباشرة لبيئة فكرية متطورة وانفتاح حضاري واسع، أسهما في تجديد الرؤية البلاغية.

لقد تحوّل التشبيه من مجرد محاكاة حسية إلى آلية فكرية وجمالية تُعبّر عن روح العصر، حيث تداخلت الصورة بالمعنى، والفكر بالخيال.

ومن هنا يمكن القول إن الشعر العباسي بلغ ذروة النضج الفني، إذ أرسى أسس البلاغة الحديثة

الأنماط التشبيه التمثيلي في الشعر العباسي

يُعدّ التشبيه التمثيلي من أبرز سمات التطور الفني في الشعر العباسي، إذ تحوّل من أداة بلاغية للتوضيح إلى وسيلة إبداعية لتوليد المعنى وابتكار الصورة. وقد تميّز شعراء هذا العصر بتنوّع أشكال التشبيه التمثيلي تبعًا لاختلاف تجاربهم الفكرية والنفسية، وبتأثرهم العميق بروح الحضارة العباسية القائمة على الفكر والفلسفة والعلم.

ومن خلال الدراسة التحليلية للنصوص يمكن تصنيف أنماط التشبيه التمثيلي في الشعر العباسي إلى ثلاثة أنواع رئيسة :الحسي، والعقلي، والرمزي المركب.

أولًا: التشبيه التمثيلي الحسي

يُقصد بالتشبيه التمثيلي الحسي ذلك الذي يستمد صورته من المدركات البصرية أو السمعية أو الملموسة، بحيث يشبّه الشاعر مشهدًا محسوسًا بآخر مشابه له في الإحساس أو الهيئة. ويُعدّ هذا

النمط امتداداً للتشبيه الجاهلي، لكنه في الشعر العباسي اتخذ طابعًا حضريًا دقيقًا واتسم بالتفصيل والتكثيف البصري.

ومن أجمل الأمثلة ما قاله البحتري في وصف معركةٍ:

كأنَّ مثارَ النقعِ فوقَ رؤوسنا

وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبُهْ

فالتشبيه هنا تمثيلي حسي؛ إذ شبّه مشهدَ المعركة، حيث الغبار والسيوف اللامعة، بمشهد السماء حين تتساقط نجومها. فاللوحة تمزج بين الظلمة والضياء، السكون والحركة، لتخلق صورةً حسية متحركة تفيض بالضوء والحياة.

وقد علّق عبد القاهر الجرجاني على هذا اللون من التشبيه بقوله:

إنك ترى الشاعر لا يكتفي بأن يقرّب المعنى باللفظ، بل يُريك إياه رأي العين، فيحوّل الغيب شهادة، والمجرّد محسوسًا[19]

يُلاحظ أن البحتري اعتمد على إدراكٍ بصريٍّ خالص، فجعل من التشبيه التمثيلي وسيلة لتصوير المشهد الحربي في هيئة كونية ساحرة، تُعلي من قيمة البطولة والجلال.

ثانيًا: التشبيه التمثيلي العقلي

أما التشبيه التمثيلي العقلي فهو الذي تُبنى صورته على المدركات الذهنية والمعاني العقلية لا على الحسّ الظاهر. وهو من أهم ما ميّز شعراء المدرسة العباسية، ولا سيما أبا تمام، الذي عُرف بقدرته الفائقة على الجمع بين الفكر والصورة.

يقول أبو تمام في مدح المعتصم:

إقدامُ عمروٍ في سماحةِ حاتمٍ

في حلمِ أحنفَ في ذكاءِ إياسِ

إن هذا البيت يمثّل نموذجًا رفيعًا للتشبيه التمثيلي العقلي، لأن الشاعر لا يقارن بين مفردين، بل بين هيئة عقلية مركبة (هي شخصية الممدوح الجامعة لمكارم الصفات) وهيئات عقلية متعددة)هي صفات الرجال الأربعة.(

وقد قال ابن الأثير في المثل السائر في تفسير هذا النمط من التشبيه:

إنَ التشبيه التمثيلي العقلي لا يُدرَك بالبصر، وإنما يتصوره الفكر، لأنه تركيب معانٍ في صورةٍ

واحدةٍ تُشبه تركيب معانٍ في صورةٍ أخرى[20]

وهذا النوع يعكس التحول الذهني في الشعر العباسي، إذ لم يعد الشاعر يُعنى بالمشابهة الخارجية، بل بالمماثلة في الجوهر والمعنى.

ويبرز هذا الاتجاه أيضًا في قول المتنبي في وصف الممدوح:

فإن تفقِ الأنامَ وأنتَ منهمُ. . . .فإنَ المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

هذا تشبيه تمثيلي عقلي، يُقارن فيه بين علوّ الممدوح على الناس مع كونه منهم، وعلوّ المسك على الغزال مع كونه من دمه. فالصورة هنا ذهنيةٌ دقيقةٌ تُعبّر عن التفوق من داخل الأصل، وهي صورةٌ عقلية تنطوي على دلالة فلسفية حول التميّز والجوهر.

ثالثًا: التشبيه التمثيلي الرمزي أو المركب

النوع الثالث هو التمثيلي الرمزي أو المركب، وهو أرفع درجات الإبداع البلاغي، إذ تتداخل فيه الحسّيات والعقليات، وتتحول الصورة إلى رمزٍ يحمل أكثر من دلالة.

ففي هذا النمط، يتجاوز الشاعر حدود المقارنة إلى بناء مشهد رمزي شامل يجمع عناصر متباينة لتوليد معنى جديد.

ومن أبدع الأمثلة قول أبي تمام في إحدى مديحياته:

السيف أصدق أنباءً من الكتبِ

في حدّه الحدُّ بين الجدّ واللعبِ

هنا لا يُقصد التشبيه بمعناه المباشر، بل هو تمثيل رمزي، إذ يشبّه العلاقة بين الفعل والقول بعلاقة السيف والكتاب، فيرمز الأول إلى الحقيقة والثاني إلى التنظير، ليُولّد دلالةً فكريةً عن المفاضلة بين العمل والكلمة.

يقول حازم القرطاجني في منهاج البلغاء:

إنّ من دقائق التشبيه أن يُحمل المعنى على ما يشاكله في الصورة والرمز، فيتولد من ذلك معنى جديد يكون أعمق من اللفظ وأدق من الإشارة[21]

وفي شعر المتنبي نجد هذا النوع بكثرة، مثل قوله في الحكمة:

ومن يجعلِ الضرغامَ بازًا لصيدهِ

تصِدهُ الضرغامُ فيما تصيِّدُ

فالتشبيه هنا مركب رمزي، يصور الإنسان الذي يستخدم القوي في مصلحته، فيتحول القوي عليه، فيرمز إلى انقلاب الوسائل على الغايات، وهي فكرة عقلية تمثيلية ذات بعد فلسفي.

وظائف التشبيه التمثيلي في النص الشعري

لا يقتصر التشبيه التمثيلي في الشعر العباسي على وظيفته التصويرية فحسب، بل يؤدي وظائف متعددة: جمالية، ودلالية، ونفسية، تتكامل جميعها في خدمة الرؤية الشعرية العامة.

أولًا: الوظيفة الجمالية (الإبداع والتصوير)

يمثّل التشبيه التمثيلي ذروة الإبداع في البلاغة الشعرية، لأنه يفتح المجال أمام الخيال ليبتكر صورًا غير مألوفة. فالشاعر لا يصف الأشياء كما هي، بل يُعيد تشكيلها وفق رؤيته الخاصة.

يقول الجرجاني في أسرار البلاغة:

إنّ التمثيل إذا جاء في موضعه ألبس المعنى ثوبًا من الجمال، وجعل له صورةً تُغري السمع والبصر معًا[22]

لقد استخدم الشعراء العباسيون التشبيه التمثيلي لتجميل المعنى وإثارة الدهشة الفنية، كما في قول البحتري في وصف الزهر:

كأنّ نوارًا في جوانبِ روضةٍ

بقينَ لآلاءِ العيونِ جواهرًا

فالتشبيه هنا ليس مجرد وصفٍ حسيٍّ، بل لوحةٌ فنيةٌ مكتملة تجمع بين الحركة واللون والضوء، مما يجعل القارئ يعيش الجمال لا يراه فقط.

ثانيًا: الوظيفة الدلالية (توليد المعنى وتكثيف الفكرة)

تُعدّ هذه الوظيفة من أهم خصائص التشبيه التمثيلي في الشعر العباسي، إذ يُستخدم كآلية لتوليد المعاني وتكثيفها عبر بناء علاقات جديدة بين الصور والمعاني.

فالشاعر من خلال التشبيه لا ينقل معنى جاهزًا، بل يخلق معنى جديدًا عبر تركيب المشبَّه والمشبَّه به في صورة واحدة.

يقول عبد القاهر الجرجاني موضحًا هذه الفكرة:

المعنى لا يتمّ إلا بالتصوير، والتصوير لا يكون إلا بالتشبيه، فإذا اتحد الطرفان في الصورة نشأ من بينهما معنى ثالث لم يكن في واحدٍ منهما قبل الاتحاد[23]

مثال ذلك قول أبي تمام:لا تنكري عطلَ الكريمِ من الغنى

فالسيلُ حربٌ للمكانِ العالي

فالتشبيه التمثيلي هنا يولد معنى جديدًا: أن علوّ المكان سبب في قلّة الماء، كما أن علوّ النفس سبب في قلّة المال، وهي دلالة عقلية تستنبط من الصورة لا من الألفاظ نفسها.

ثالثًا: الوظيفة النفسية (التعبير عن الانفعال والعاطفة)

يؤدي التشبيه التمثيلي أيضًا دورًا نفسيًا مهمًا، إذ يُعدّ وسيلةً فنيةً للتعبير عن الانفعال والعاطفة. فالشاعر لا يعبّر عن مشاعره مباشرة، بل يُسقطها على صورةٍ تمثيليةٍ تمزج بين الواقع والخيال.

يقول ابن سنان الخفاجي في سرّ الفصاحة:

أحسن التشبيه ما كان نابعًا من الوجدان، جارحًا للقلب، تُحسّ فيه حرارة النفس قبل حيلة اللفظ[24]

ومن أبلغ الأمثلة قول المتنبي في الشوق والبعد:

كأنّ الهوى بينَ الفؤادِ وجفنه

سحابٌ تلاقت فيه برقٌ ورعدُ

فالصورة التمثيلية هنا تجمع بين الاضطراب الداخلي والعاطفة المتأججة، إذ يُصوّر الصراع النفسي بين الحب والعقل بمشهدٍ كونيٍّ يجمع بين البرق والرعد، فيكشف عن التوتر النفسي بلغةٍ تصويريةٍ مؤثرة.

رابعًا: أهم النتائج والاستنتاجات

من خلال تتبع أنماط ووظائف التشبيه التمثيلي في الشعر العباسي يمكن الخروج بجملة من النتائج:

1. أنّ التشبيه التمثيلي بلغ في العصر العباسي أرقى مستوياته، إذ انتقل من المحاكاة البسيطة إلى الإبداع الفكري المركّب.
2. أنّ التحول الحضاري والعقلي في العصر العباسي أفرز صورًا تمثيليةً عقليةً ورمزيةً لم تعرفها العصور

نتائج البحث

1. التشبيه التمثيلي يمثل قمة النضج البلاغي في التراث العربي، إذ جمع بين الحسّ والعقل، والصورة والفكرة، وأضحى أداة للتفكير والتصوير معًا.

2. أظهر البلاغيون القدامى (كالجرجاني والسكاكي والقزويني) إدراكًا مبكرًا لطبيعة التشبيه التمثيلي بوصفه وسيلةً لتقريب المعقول من المحسوس، لا مجرد زخرف لغوي.

3. شهد العصر العباسي تحوّلًا جذريًا في بنية الصورة الشعرية بفعل الانفتاح الحضاري، فبرز التشبيه التمثيلي بوصفه الشكل الأقدر على استيعاب التجربة الفكرية والوجدانية الجديدة.

4. تميز شعراء العباسيين، ولا سيما أبو تمام، البحتري، والمتنبي، بتوسيع أفق التشبيه من المقارنة الحسية إلى البناء الرمزي والعقلي المركّب.

5. أبو تمام استخدم التشبيه التمثيلي العقلي لتكثيف الفكرة الفلسفية وإنتاج المعاني الجديدة، في حين برع البحتري في التشبيه الحسي التصويري، وارتقى المتنبي بالتمثيل الرمزي ذروةً في الدلالة الفكرية والنفسية.

6. أسهم التشبيه التمثيلي في تحويل الصورة الشعرية من وصفٍ جامدٍ إلى بناءٍ دلاليٍّ حيّ، تتفاعل فيه الرموز والمعاني لإنتاج الدلالة المركّبة.

7. يقوم التشبيه التمثيلي العباسي على التركيب والمقابلة بين حالين أو مشهدين، ما يتيح له عمقًا معرفيًا يتجاوز المحاكاة السطحية إلى الرؤية الفكرية.

8. أدّى الانفتاح الثقافي والفلسفي في العصر العباسي إلى تطور مفهوم المشابهة نفسه، من التشابه في الصفات إلى التشاكل في البنية الفكرية والموقف الإنساني.

9. أضحى التشبيه التمثيلي في الشعر العباسي وسيلة لتوليد الدلالة لا لنقلها، أي أنه ينتج معنى جديدًا من خلال تفاعل الطرفين لا من خلال وصف أحدهما بالآخر.

10. اتسم التشبيه التمثيلي العباسي بقدرته على الدمج بين الحسّي والعقلي في صورةٍ واحدة، مما يعكس التكامل بين الخيال والعقل في البنية الشعرية.

11. أدى هذا النوع من التشبيه إلى تجديد الأسلوب البلاغي وفتح آفاق جديدة أمام اللغة الشعرية، فصارت أكثر مرونة وقدرة على التعبير عن التجربة المعقدة.

12. منح التشبيه التمثيلي النصّ الشعري قيمة جمالية فائقة من خلال التوازن بين الإيقاع والدلالة، والصورة والمعنى، مما أضفى على الشعر العباسي طابعًا فنيًا متميزًا.

13. على المستوى النفسي، عبّر التشبيه التمثيلي عن انفعالات الشاعر وصراعاته الداخلية في صورٍ كونيةٍ شاملةٍ تمزج بين الذات والعالم.

14. ساهم هذا الفن في تأسيس مدرسة بلاغية جديدة تمهّد للبلاغة النقدية اللاحقة، إذ أعاد الشعراء من خلاله تعريف العلاقة بين اللغة والفكر والتجربة الإنسانية.

15. يمكن القول إنّ التشبيه التمثيلي في الشعر العباسي لم يكن مجرد تطورٍ فني، بل تحولٌ معرفيٌّ وجماليٌّ أعاد صياغة مفهوم الصورة والمعنى في البلاغة العربية بأكملها.

الحواشي

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ج3، ص 112 .

Ibn Fāris, *Maqāyīs al-Lughah*, taḥqīq ʿAbd al-Salām Hārūn, Dār al-Fikr, j.3, p.112.

[2] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، ص 45 .

ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī, Asrār al-Balāghah, taḥqīq Maḥmūd Shākir, Dār al-Madanī, p.45.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، ص 92 .

ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī, Dalāʾil al-Iʿjāz, taḥqīq Maḥmūd Shākir, Dār al-Madanī, p.92.

[4] السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ص 385 .

Al-Sakkākī, Miftāḥ al-ʿUlūm, taḥqīq Naʿīm Zarzūr, Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, p.385.

[5] القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، ص 71 .

Al-Qazwīnī, Al-Īḍāḥ fī ʿUlūm al-Balāghah, taḥqīq Muḥammad ʿAbd al-Munʿim Khafājī, Dār al-Jīl, p.71.

[6] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 66 .

ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī, Asrār al-Balāghah, p.66.

[7] المرجع نفسه، ص 118 .

Al-marjaʿ nafsuh, p.118.

[8] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تحقيق عبد المتعال الصعيدي، دار الكتب الحديثة، ص 142 .

Ibn Sinān al-Khafājī, Sirr al-Faṣāḥah, taḥqīq ʿAbd al-Muʿṭal al-Ṣaʿīdī, Dār al-Kutub al-Ḥadīthah, p.142.

[9] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 155 .

ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī, Dalāʾil al-Iʿjāz, p.155.Top of Form

[10] شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ص 11 .

Shawqī Ḍayf, Al-ʿAṣr al-ʿAbbāsī al-Awwal, Dār al-Maʿārif, al-Qāhirah, p.11.

[11] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 88 .

ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī, Dalāʾil al-Iʿjāz, taḥqīq Maḥmūd Shākir, Dār al-Madanī, p.88.

[12] ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، ج1، ص 412 .

Ibn Khaldūn, Al-Muqaddimah, Dār al-Fikr, Bayrūt, j.1, p.412.

[13] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي، دار النهضة، ص 98 .

Abū Hilāl al-ʿAskarī, Kitāb al-Ṣināʿatayn: al-Kitābah wa al-Shiʿr, taḥqīq ʿAlī Muḥammad al-Bajāwī, Dār al-Nahḍah, p.98.

[14] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 115 .

ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī, Asrār al-Balāghah, taḥqīq Maḥmūd Shākir, Dār al-Madanī, p.115.

[15] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل، ج1، ص 210 .

Ibn Rashīq, Al-ʿUmdah fī Maḥāsin al-Shiʿr wa Ādābih wa Naqdih, Dār al-Jīl, j.1, p.210.

[16] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 67 .

ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī, *Asrār al-Balāghah*, p.67.

[17] ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، ص 145 .

Ibn al-Athīr, Al-Mathal al-Sāʾir fī Adab al-Kātib wa al-Shāʿir, Dār al-Fikr al-ʿArabī, j.1, p.145.

[18] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ص 299 .

Ḥāzim al-Qarṭājannī, Minhāj al-Bulaghāʾ wa Sirāj al-Udabāʾ, taḥqīq Muḥammad al-Ḥabīb Ibn al-Khūjah, Dār al-Gharb al-Islāmī, p.299.

[19] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، ص 125 .

ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī, Dalāʾil al-Iʿjāz, taḥqīq Maḥmūd Shākir, Dār al-Madanī, p.125.

[20] ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار الفكر العربي، ج1، ص 219 .

Ibn al-Athīr, Al-Mathal al-Sāʾir fī Adab al-Kātib wa al-Shāʿir, Dār al-Fikr al-ʿArabī, j.1, p.219.

[21] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ص 302 .

Ḥāzim al-Qarṭājannī, Minhāj al-Bulaghāʾ wa Sirāj al-Udabāʾ, taḥqīq Muḥammad al-Ḥabīb Ibn al-Khūjah, Dār al-Gharb al-Islāmī, p.302.

[22] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 110 .

ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī, Asrār al-Balāghah, p.110.

[23] المرجع نفسه، ص 137 .

Al-marjaʿ nafsuh, p.137.

[24] ابن سنان الخفاجي، سرّ الفصاحة، تحقيق عبد المتعال الصعيدي، دار الكتب الحديثة، ص 145 .

Ibn Sinān al-Khafājī, Sirr al-Faṣāḥah, taḥqīq ʿAbd al-Muʿṭal al-Ṣaʿīdī, Dār al-Kutub al-Ḥadīthah, p.145.